المبحث الثاني

آثار المغاربة في نشر الدعوة الإسلامية بنيجيريا وغرب أفريقيا بين الأمس واليوم

لا نكاد نخوض غمار هذا الموضوع دون ذكر الدول والحكومات التي فتحت البلاد ، ومهدت السبيل للدعاة المتطوعين من الأفراد والجماعات على طول الطريق منذ فجر التاريخ الإسلامي إلى الوقت الحاضر ، ويستنبط الباحث من الأساليب التي ارتسمها الدعاة المغاربة في نشر الدعوة بتلك الأرجاء نماذج في نشر الدعوة اليوم في تلك الأرجاء وغيرها من الأنحاء ، فليقرأ الباحث هذه السطور بتفكر وإمعان النظر فيما يلي ليجد ما قلنا فلنبدأ ونقول :

الدفعة الأولى هي أول دفعة إلى شمال أفريقيا بعد فتح عقبة ابن نافع للأقاليم ، وهي التي بعثها عمر بن عبد العزيز الأموي من المدينة إلى شمال أفريقيا لنشر الدعوة فيها عام ١٠٠هـ ، حيث عيَّن إسماعيل بن عبد الله واليًا على شمال أفريقيا وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين ليفقهوا البربر في أمور دينهم ، لم أقف

على أسماءهم بالتفصيل فاكتفيت بما سمح به التاريخ الإجمالي حسبما اكتفى به المصدر الذي استقيت منه معرفتي[1] .

الدفعة الثانية هي الموجة التي دفعها عبد الله بن ياسين الذي درّب ألفًا من الدعاة على تعليم علوم الدين ، وأمرهم أن ينقلوا الإسلام وعلومه إلى غيرهم من البرابرة والزنوج ، وأوصاهم بقوله اخرجوا على بركة الله تعالى وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته فإن تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم ، وإن أبوا ذلك وتمادوا في عيهم ولجوا في طغيانهم استعنّا عليهم بالله وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا[2].

وهكذا بدأ المرابطون يدعون البربر والزنوج وسائر القبائل إلى دين الإسلام حتى أقاموا الدولة في مراكش على يد يوسف ابن تاشفين الذي أنشأ مدينة مراكش ١٠٦٥م واتخذها عاصمة الدولة المرابطية ، ثم انقسمت دولة المرابطين إلى ثلاثة أقسام ، قسم حكم في شمال أفريقيا وهي التي بقيت آثارها حتى اليوم في مراكش ، وقسم آخر حكم في أسبانيا ثم توزعت بين ملوك الطوائف هناك ، وقسم ثالث حكم في غرب أفريقيا بقيادة أبي بكر بن عمر الذي استمر في جهاده مع البربر وسائر قبائل الزنوج حتى اكتسح جهاده سائر بلاد غرب أفريقيا إلى حدود الكونغو ، وأخيراً استشهد في إحدى غزواته هناك فذابت دولته هذه بين دول غانة ومالي وسنغاي وتكرور وتوزع دعاتها بين أطراف تلك النواحي ، ثم بقي الإسلام ينتشر بقوته الذاتية على

(1،٢) توماس أرنولد الدعوة إلى الإسلام ص ٣٥١ .

أيدي الدعاة المتطوعين من الصنهاجيين والبرابرة ، ثم الطوارق الملثمين الذين صاروا خلفًا للبرابرة في نشر الدعوة إلى غرب أفريقيا ، وكانت عاصمتهم غُدامس جنوب طرابلس ، وقد لعبوا دورًا عظيمًا في نشر الدعوة بتلك الجهات حتى صار أكثر الناس يتسمون بأسماء غُدامسيين إلى اليوم في بلاد هوسا وبلاد يوربا ، ومما بقي من ذلك اسم رئيس الحكومة العسكرية الخاضرة بنيجيريا إبراهيم غدامسي ببَانغدا ، ثم جاء دور الوناغرة في نشر الدعوة وهم شعب عظيم سكنوا بين غانة ومالي ، وهم الذين نشروا الإسلام في بلاد كاتشنة وبلاد كانوا المشهورتين ، يقول الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه ، انتشار الإسلام بغرب أفريقيا : جاء في تاريخ مدينة كانوا أن فريقًا من الفقهاء الوناغرة يزيدون على أربعين رجلاً وفدوا من كاشنة إلى كانو ودعوا أهلها إلى الإسلام حتى أسلم ملكها وأسسوا بها مساجد يعلمون الناس فيها الإسلام[1] عام ١٣٥٠م .

وهؤلاء الوناغرة قد تلقوا علومهم من المغاربة في صدر الإسلام ومن أشهر العلماء الوناغرة الشيخ محمد بن محمد ابن أبي بكر الونغري الشهير ببغيغ وهو أحد الأخوة الثلاث المنتسبين إلى الوناغرة ، ولا شك في كون أول من دعا إلى الإسلام في بلاد يوربا من أولئك الوناغرة حيث ذكر توماس أرنولد[2] من كتابه الدعوة إلى الإسلام أن أول داعية دخل مدينة

(1) انتشار الإسلام بغرب أفريقيا ص ٢٢٩ .
(2) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٥٥ .

إيفي عاصمة بلاد يوربا الوثنية في أقصى جنوب النيجر إلى ناحية الغابات قرب المحيط في القرن الثاني عشر الميلادي وكان يظنه من الهوسا والحقيقة أنه من مالي .

ويروي السعدي في كتابه «تاريخ السودان الغربي» أن كُنبرو ملك مدينة جنى قرب تمبكتو قد أسلم حوالي ٤٠٠هـ - ١٠١٠م ، وجمع يوم إسلامه أربعة آلاف ومائتي عالم في مملكته وأعلن إسلامه أمامهم وطلب إليهم أن يدعوا الله له كي ينصره ، ثم جاء دور البرناويين والنوفاويين في نشر الدعوة ، وهما شعبان عظيمان منحدران من البربر والنوبة اللذان نزحا من أعالي مصر إلى بلاد يُوربا ونشروا فيها الإسلام . وكان للنوفاويين مساجد في مدينة عُويوإيلي عاصمة بلاد يوربا القديمة حوالي ١٥٥٠م ، وكان للعلماء نفوذ قوي على ملك يوربا ، حيث كان الملك يعتمد عليهم ويستعينهم على قضاء مآربه والنصر على أعدائه واستنزال الغيث أيام القحط ، وقد سكن البرناويون البرابرة مدينة إيوو بالقرن العاشر الهجري ونشروا فيها الإسلام وعلومه في عهد مَلك الاهوسَا وانِيْدَي ولامُوييي ، وفي ذلك العهد ألف أحد العلماء الكشناويين كتابين[1] اثنين في أخبار بلاد يوربا أولهما «أزهار الرُّبا في أخبار بلاد يوربا» وثانيهما «شفاء الرَّبا في أخبار فقهاء يوربا» وذلك حوالي ١٠٧٠هـ .

(1) وهو العالم محمد بن مَسَنِي البرناوي الكشناوي .